

الدرس التاسع عشر

مقدمة لسفر التثنية

تثنية

1. مقدمة

لا يمثل سفر التثنية فترة تاريخية أخرى من الزمن في تاريخ إسرائيل، لكنه يمثل مناسبة فريدة تحدث فيها موسى للجيل الجديد من بني إسرائيل قبل دخولهم مباشرة إلى أرض كنعان. ألقى موسى هذا الخطاب في سهول موآب على الجانب الشرقي من نهر الأردن. وتتضمن خلفية هذا المشهد الشعب الذي يوشك على عبور النهر وغزو الأرض لكي يسكنوا هناك ويباركوا من الله. غير أنهم يحتاجون إلى "موعظة" جيدة في هذا الوقت لئلا يعتقدوا أن بإمكانهم أن يتراخوا في إيمانهم وطاعتهم بعد دخول الأرض.

والسفر وعظي جداً حقاً. تقول تثنية 1: 5: "في عبر الأردن، في أرض موآب، ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة." لم يكن هذا مجرد مراجعة لما تطالب به الشريعة؛ بل كان بشكل أساسي عظة تحريضية تكشف قلب الشريعة وتقدم حوافز للطاعة. فلا بد أن تأتي الطاعة الحقيقية من محبة المرء ليهوه (تثنية 6: 4-6)، وبدون طاعة الله لن تأتي البركات. وفي الحقيقة، العصيان سيجلب لعنات وحتى النفي من الأرض. فدخلوا الأرض ليس ضماناً بالمحافظة عليها؛ فالميراث يمكن أن يضيع.

وستتناول في بحثنا هذا رأي الباحثين الانتقادين الذين يجمعون عملياً على رفضهم حقيقة أن موسى هو كاتب السفر. وهم ينسبون السفر إلى مؤرخ "ثنوي" مجهول في القرن السابع ق م.¹ وستقدم تفصيلاً لهذه النظرية في بحث منفصل [انظر الدرس المعنون "النظرية الثنوية"].

2. تعليقات عامة

أ. عنوان السفر

¹ في ما يتعلق بشكل السفر وموازاته للمعاهدات الحثية بين الملك المتسيد القوي والدولة التابعة في الألفية الثانية قبل الميلاد، انظر الملاحظات الصافية حول خروج 19-24. يقول ميريل في (Kingdom of Priests):

غير أن باحثين كثيرين يفضلون، من أجل الدفاع عن تاريخ متأخر لكاتب سفر التثنية، أن يربطوا صيغة سفر التثنية ومضمونه بمعاهدات آشور - الجديدة في القرن السابع ق م. لكن من شأن المقارنة المتأينة لهذه المعاهدات والنصوص الكتابية أن تكشف مشاكل لا يمكن التغلب عليها في سياق هذا التفسير. فعلى سبيل المثال، تشكل صيغة البركة جزءاً أساسياً في معاهدات العصر البرونزي المتأخر (Late Bronze) والنصوص الكتابية، لكن ليس هناك ما يشهد على وجودها في الوثائق الآشورية.

انظر. Moshe Weinfeld, "The Loyalty Oath in the Ancient Near East," *Ugarit-Forschungen* 8 (1976): 397.

لم يكن العنوان الحالي للسفر (التثنية) هو الاسم الذي يعرف به دائماً. فقد كان شائعاً لدى اليهود باسم $\text{ēlleh h}^{\text{DD}}+\text{b}^*\text{r}^{\text{m}}$ 'إله هـدفاريم' ("هذه هي الكلمات")، أي "هذا هو الكلام" كما يبدأ العدد الأول من السفر. وقد استخدم تعبير *mišneh* (مثنى) أحياناً للإشارة إلى سفر التثنية (مشتق من 17 : 18 – نسخة [מִשְׁנֵה] من هذه الشريعة).

ولقد أخطأت الترجمة السبعينية (الترجمة اليونانية للعهد القديم في القرن الثالث ق م) بترجمة تعبير "نسخة من هذه الشريعة" في 17 : 18 إلى *to deuteronomion touto*، أي "هذه الشريعة الثانية"، بمعنى "هذه الشريعة المكررة". ومن هنا ترجمت الفلجاتا اللاتينية الاسم اليوناني إلى *deuteronomion* (التي اشتقت منها كلمة تثنية بالإنجليزية (Deuteronomy))، وقد اعتبرت المحتويات شريعة ثانية (*deuteros* = ثانية؛ *nomos* = شريعة).

وعلى الرغم من أن العنوان جاء من ترجمة خاطئة للأصل العبري، فإنه ليس عنواناً غير سليم. إذ يتضمن الوضع التاريخي للسفر الجبل الجديد لبني إسرائيل الذين حلوا محل جيل الخروج الذي مات وانقرض في البرية. وها هو موسى يدعو هذا الجبل إلى ربط أنفسهم بعهد مع الشريعة.

ب. نبذة سفر التثنية

ليس سفر التثنية مجرد إسهاب مطول حول الأنظمة التي يجب أن تتبعها أمة العهد. ومما لا شك فيه أن هنالك تشريعاً، لكن السفر وعظي في معظمه، أي أنه "إقناع" يقوم به قائد الأمة الذي سيرحل عما قريب لشعبه بأن يطيعوا يهوه. ويجب أن تأتي هذه الطاعة المتصورة من قلب يحب يهوه. يقول جي. أ. ثومبسون:

يتسم سفر التثنية بروح الإلحاح والضرورة. وهو يأتي حتى للقارئ الحديث كقطعة تهدف إلى التحدي والتشجيع، فهو موجه إلى تحريك عقول السامعين وإرادتهم لاتخاذ قرار: اختاروا الحياة لكي تحيوا أتم وأبناؤكم (30 : 19). وقد هدف السفر ككل بوضوح إلى إعطاء إسرائيل إرشادات وتعليمهم في إيمانهم وإلى إيفائهم متطلبات إيمانهم.²

3. مسألة تاريخ كتابة السفر وهوية كاتبه

يطبق الباحثون على البحث في مسألة زمن الكتابة أي سفر من الأسفار المقدسة وهوية كاتبه اسم "النقد الأعلى". وهذه ممارسة ملائمة في حد ذاتها، لأنه يتوجب علينا أن نعرف الكاتب وتاريخ الكتابة لكي تتمكن من فهم الوضع التاريخي الذي كُتب فيه السفر فهماً صحيحاً بالإضافة إلى جمهور القراء الأصليين للسفر. ولسوء الحظ، كان سفر التثنية أحد أكثر أسفار العهد القديم تعرضاً للطعن والشك في هذين الأمرين. ويعتبر الإنجيليون بشكل عام أن موسى هو كاتب السفر (مع الاستثناء المحتمل للمقطع الذي يتحدث عن موته في نهاية السفر)، بينما يرفض الباحثون

²J. A. Thompson, *Deuteronomy: An Introduction and Commentary*, 12.

النقدون بشدة أن يكون موسى هو كاتب السفر. يقول هاريسون: "تبنى اليهود والمسيحيون، مع بعض الاستثناءات، فكرة تأليف موسى للسفر حتى القرن التاسع عشر."³ غير أن الرأي التقليدي قد تعرض للهجوم على مدى القرنين الماضيين.

أ. تحدي الباحثين التقديين

1. دي وتي ولهيلم م. ل. (1805)

تحدي دي وتي الموقف التقليدي بأن أكد على أن سفر التثنية كُتب في زمن يوشيا (في الجزء الأخير من القرن السابع ق م)، وأنه السفر الذي وجدته الكاهن حلقياً في الهيكل بعد السنوات الطويلة من الارتداد تحت حكم الملكين الشريرين منسى وأمون. "وعند إخراجهم الفضة المدخلة إلى بيت الرب، وجد حلقياً الكاهن سفر شريعة الرب بيد موسى" (2 أخبار 34: 14؛ انظر 2 ملوك 22: 8 فصاعداً).

2. ولهاوسن، جولوس

بعد النتيجة التي خلص إليها دي وتي، أشاع ولهاوسن "النظرية الوثائقية" معطياً إياها شكلها التقليدي. وهذه النظرية هي نتيجة منهج التحليل الأدبي في تناول الأسفار المقدسة الذي سعى إلى تحليل الأطوار الأدبية التي مر بها النص حتى وصل إلى شكله الحالي ضمن العهد القديم. وقد ركز هذا النهج على تطور ديانة إسرائيل إلى أن وصلت إلى صيغتها التوحيدية في حوالي عام 750 ق م. وقد خلص ولهاوسن إلى أن الشكل الحالي للعهد القديم قد جاء نتيجة جمع أربعة مصادر مختلفة: ي، إ، ت، ك (J,E,D,P). وقد افترض أن مصدر "ت" هو المادة التثوية التي جاءت بعد مصدري "ي" و"إ". وقد نسب ولهاوسن تاريخ المصدر التثوي إلى زمن يوشيا (حوالي 622 ق م)، فتكون مادة التوراة ككل قد جمعت حسب نظريته في زمن ما بعد 622 ق م. يتحدث هاريسون عن منهج ولهاوسن فيقول:

اعتبر ولهاوسن أن الأسفار الخمسة (التوراة) هي بشكل أساسي من مصدر مركب، يتألف من مصدر يهويوي (ي) يرجع إلى القرن التاسع ق م، ومصدر إيلوهيمي مستقل (إ)، يرجع إلى القرن الثامن ق م، والمضمون الأساسي لسفر التثنية (ت) الذي أرجعه إلى زمن يوشيا (39/640-609 ق م)، ومصدر كهوتي (ك) يعود إلى القرن الخامس ق م. وحسب هذه العملية التي قدم ولهاوسن هيكلًا عاملاً لها في كتابه *Die Komposition des Hexateuchs* الذي نُشر في عام 1877، فإن الكاتب اليهودي جمع وثيقة سردية من المصدرين (ي) و(إ)، ثم ألحق بهما سفر التثنية الذي أُضيف في زمن يوشيا.⁴

قد يبدو موقف ولهاوسن في ما يتعلق بنظرية "ي، إ، ت، ك" متسماً بالخيال الواسع، لكن كان لهذه النظرية تأثير عميق على الباحثين الانتقادين الدراسيين للعهد القديم. وتقوم النظرية على إنكار كتابة موسى لسفر التثنية (بل كل التوراة)، وعلى نسبة تاريخ متأخر لسفر التثنية (القرن السابع ق م) وقد كان الباحثون براون درايفر وبريجز الذي ألفوا المعجم العبري (1906) من مؤيدي هذه النظرية.

3. محاولات أخرى

³R. K. Harrison, *Introduction to the Old Testament* (Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Pub Co., 1969), 640.

⁴المرجع السابق، 21.

قبل الباحثون النقديون السابقون بشكل سريع نتائج نظرية "ي إ ت ك"، فقاموا بإرجاع تأليف سفر التثنية إلى القرن السابع ق م (إذ اقترح راوولي، على سبيل المثال، أن أحد أتباع إشعيا كتب سفر التثنية في حوالي 680 ق م).⁵ وقد قُدمت افتراضات أخرى. فقد أرجع أولبرايت نشيد موسى (تثنية 32) إلى زمن صموئيل.⁶ غير أن الميل الشائع في القسم الأخير من القرن العشرين اتجه إلى اعتبار سفر التثنية جزءاً من كتابات أدبية أكثر اتساعاً معروفة باسم "التاريخ التثوي التأثر". وتتألف هذه من المادة الموجودة في أسفار التثنية ويشوع وقضاة وصموئيل الأول والثاني وملوك الأول والثاني. والفكرة هنا هي أن كل هذه المادة مكتوبة من نفس وجهة النظر، أي على أنها عمل أدبي كُتب وحرر ونُقح على مدى فترة طويلة من الزمن. ووفق هذه النظرية، فإن السفر الذي نعرفه باسم "التثنية" هو نتيجة أعمال تحرير وتنقيح متعددة تم آخرها في فترة السبي البابلي (حوالي 550 ق م). وهناك نتائج أكثر تطرفاً وصل إليها بدرسن ومدرسة أسبالا الذين توصلوا إلى أن سفر التثنية وصل إلى شكله النهائي في حوالي 400 ق م.⁷

ب. لماذا هذا التحدي لحقيقة المصدر الموسوي

من الواضح أن هؤلاء الباحثين الانتقادين قطعوا شوطاً بعيداً في اتباع هذه النظرية. غير أن هناك تفسيراً معقولاً لذلك. فقد ظهر ولهاوسن ومن هم على شاكلته في "الفترة العلمية" التي نبذت أثناءها فكرة ما هو خارق لمصلحة التفسيرات العلمية. وهكذا تم استبعاد القول بالمصادر النبوية والحارقة، وبذلت محاولات لشرح عملية تطور ديانة إسرائيل.

يرى هؤلاء الباحثون النقديون ضرورة إرجاع سفر التثنية إلى تاريخ متأخر بسبب كثير من الملاحظات التي يتضمنها. فمثلاً، هناك الذهاب إلى السبي، أولاً للمملكة الشمالية في عام 722 ق م، ثم للمملكة الجنوبية بين 605-586 ق م. وهذا السبي منبأ عنه في تثنية 29: 28. فلا يمكن أن يقبل الباحثون النقديون أن سفرًا كُتب في القرن الثالث عشر-الخامس عشر ق م أن يتنبأ بدقة عن أحداث القرنين الثامن والسابع ق م. وبعبارة أخرى فإن لديهم تحاملاً على ما هو خارق. فلا بد لكاتب سفر التثنية، أيًا كان، أن يكون ملماً بأحداث القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد.

ونجد في جيرهارد فون راد، الباحث النقدي الألماني، مثلاً على هذا الأمر عينه. كتب يقول:

إن العظات المتضمنة في سفر التثنية موجهة إلى إسرائيل على شكل كلمات نطق بها موسى الذي اقترب الآن من الموت، لدى وصولهم إلى أرض موآب بعد أسفارهم وتبناهم. وهذه الفكرة الخرافية موجودة في كل سفر التثنية. لكنها في حقيقة الأمر خرافة، فهذه العظات موجهة إلى بني إسرائيل في الفترة الأخيرة من الحكم الملكي.⁸

ثم يحدد مواضع معينة في سفر التثنية تتضمن تطورات لاحقة في تاريخ إسرائيل وتتطلب حسب رأيه تاريخاً لاحقاً لكتابة السفر:

⁵H. H. Rowley, *The Growth of the Old Testament*, 31.

⁶W. F. Albright, *Vetus Testamentum*, IX, 1959.

⁷Pedersen, *Israel*, III-IV, 96.

⁸Gerhard Von Rad, *Deuteronomy*, trans. Dorothea Barton (Philadelphia: Westminster Press, 1966).

يجب أن نضع في اعتبارنا ما يقال عن إمكانية وقوع مدن بأهلها في حال الارتداد (13 : 13 فصاعداً)، وظهور أنبياء كذبة، والحديث عن الاقتصاد الذي حتم إعادة تفسير القوانين القديمة المتعلقة بسنة الإبراء (15 : 10 فصاعداً)، والاختبارات المؤسفة التي تشكل أساس الشريعة في ما يتعلق بالملك وأمور أخرى كثيرة.⁹

يدعي جيرهارد فون راد أن السفر يتسم بروح حربية واضحة ينسبها إلى فرقة من اللاويين (ص 24). وهو يخلص إلى أن فرقة من اللاويين تمثل هذه الروح من التقوى المتعطشة للدماء، كتبت المضمون الأساسي لسفر التثنية أثناء حكم الملك يوشيا. (قبل عام 622 ق م) من أجل إيقاظ ديانة يهوه القديمة التي استسلمت أمام الديانة الكنعانية. وهو يذهب إلى حد القول إن سفر التثنية ولد في أحد مقدس المملكة الشمالية لإسرائيل (ربما شكيم أو بيت إيل، ص 26).

ج. حجج الباحثين النقيدين

1. مركزية العبادة

قال ولهاوسن بناءً على تثنية 12 : 5، 11، 14، 18، 21، 26 إن كاتب سفر التثنية كان يهدف إلى ترسيخ مركزية العبادة في اورشليم. وهو يدعي من هذا المنطلق أن مثل هذا الموقف ملائم جداً لحركة إصلاحية في عهد يوشيا. رد: لا يوجد أي شيء في سفر التثنية يفيد بأن المقدس المركزي المشروع الوحيد يجب أن يقع في اورشليم. وفضلاً عن ذلك، فإن الدعوة إلى بناء مذبح على جبل عيبال في تثنية 1 : 27-8 تنسف مثل هذا النهج التفكيرى نسفاً كلياً. ولا يقبل الباحثون النقيدون الأكثر حداثة من ولهاوسن وجهة نظره بالنسبة لأورشليم.

2. التحريمات الكنعانية

قال بعضهم إن التحريمات الموجودة في تثنية (16 : 21 فصاعداً، و 12 : 29 فصاعداً) في ما يتعلق بالممارسات الدينية الكنعانية ستكون منطقية إذا عزيت لكاتب في زمن يوشيا يسعى إلى تخلص الأمة من مثل هذه التأثيرات. رد: لا يثبت هذا الكلام شيئاً. فمثل هذه التحريمات مناسبة لأمة على وشك الدخول إلى الأرض في زمن موسى حيث يسكن الكنعانيون. فكان موسى مهتماً جداً بأن لا يكون هنالك أي امتزاج بالممارسات الكنعانية.

3. إن السفر الذي وجدته حلقياً هو سفر التثنية

⁹ المرجع السابق، 28.

إن الحجّة الأساسية للباحثين التقديين هي أن "سفر الشريعة" الذي وجده الكاهن حلقيًا في زمن يوشيا (622 ق م) هو سفر التثنية (2 ملوك 22: 8؛ 2 أخبار 34: 14). وهم يفترضون أنه لا بدّ أن يكون قد كُتب قبل وقت قصير من اكتشافه.

رد: إنه لأمر مستحيل أن تقرر من النص طول "سفر التوراة" أو مضمونه. وفضلاً عن هذا، فإنه يمكن أن يكون قد عُثر على سفر التثنية في زمن يوشيا مع كتابته قبل ذلك بقرون. ربما ضاع هذا السفر أو أهمل أثناء سنوات حكم منسى وآمون عندما سادت عبادة الأصنام.

4. العناصر النبوية

بما أن الباحثين التقديين ينكرون العناصر النبوية في السفر كجزء من رفضهم للوحي الإلهي، فإن من الطبيعي أن يميلوا إلى إرجاع السفر إلى زمن متأخر يكون سهلاً تفسير هذه العناصر فيه (انظر التعليق السابق تحت عنوان "تحدي المصدر الموسوي").

د. دفاع عن المصدر الموسوي (كتابة موسى لسفر التثنية)

1. ما يقوله النص نفسه

تقول تثنية 31: 9، "وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة..." (انظر 31: 24؛ 5: 1).

2. اقتباسات العهد الجديد

تقتبس أعمال 3: 22 تثنية 18: 15 وتنسبها إلى موسى (انظر 1 كورنثوس 9: 9)

3. أكد يسوع كتابة موسى للسفر

في متى 19: 8 نسب يسوع في حديثه حول الطلاق إلى موسى كتابة شريعة الطلاق في تثنية 24.

4. صيغة المعاهدات السائدة في الألفية الثانية قبل الميلاد

قدّم ميرديث كلاين حجّة ممتازة بأن سفر التثنية جاء في صيغة المعاهدات التي كانت سائدة في الشرق الأدنى بين الدولة المتسيّدة المنتصرة والدولة الأضعف التابعة. وفضلاً عن ذلك بين كلاين أن هنالك فروقات مميزة بين أشكال المعاهدات في الألف الأول قبل الميلاد، والألف الثاني قبل الميلاد، وهو أمر له أهميته ودلالته في ضوء أن سفر التثنية جاء حسب صيغة المعاهدات شبيهاً بمعاهدات الألف الثاني ق م.¹⁰

هـ. سجل موت موسى

من الواضح أن موسى لم يكتب الأصحاح الأخير الذي يذكر تفاصيل موته وتولي يسوع للقيادة. ويؤكد التقليد اليهودي أن يسوع أضاف هذا القسم إجلالاً وتقديراً لرجل عظيم.

¹⁰Meredith Kline, *Treaty of The Great King*, 42ff.

و. خاتمة

كتب موسى سفر التثنية، حسب شهادة السفر نفسه، في نهاية حياته قبل عبور بني إسرائيل نهر الأردن. وقد حدث هذا بعد انقراض جيل الخروج، حيث إن (تثنية 1 : 3) تذكر أن موسى شرح الشريعة لبني إسرائيل في السنة الأربعين، في اليوم الأول من الشهر الحادي عشر، ويعتمد تحديد السنة الأربعين على التاريخ المقبول للخروج من مصر. فإذا قبل عام 1446 ق م كتاريخ للخروج (انظر 1 ملوك 6 : 1)، يكون موسى قد كتب سفر التثنية في سهول موآب في الأشهر الأولى من عام 1406 ق م.

4. الخلفية التاريخية لسفر التثنية

أ. مقدمة

تعتمد أية محاولة لدراسة الخلفية التاريخية لسفر التثنية على تحديد تاريخ دقيق لكتابته السفر. تقول تثنية 1 : 3 إن موسى خاطب الأمة بهذه الكلمات في السنة الأربعين، في اليوم الأول من الشهر الحادي عشر. غير أن هوية (تحديد) السنة الأربعين هذه تعتمد على التاريخ الذي يقبله المرء للخروج من مصر، وهي مسألة يدور حولها خلاف. يعطي الباحثون التقديرون (وحتى بعض الباحثين الإنجليين) "تاريخاً متأخراً" للخروج، أي في القرن الثالث عشر ق م. ويقبل حتى الباحث المحافظ كينيث أ. كشن تاريخاً متأخراً للخروج.¹¹ ويميل باحثون إنجلييون آخرون، من ضمنهم أنا، إلى القول "بتاريخ مبكر" للخروج، حوالي 1446 ق م (وهو أمر يتفق مع 1 ملوك 6 : 1). وبناء على هذا "التاريخ المبكر" للخروج، يكون سفر التثنية قد كتب حوالي كانون 2- شباط من عام 1406 ق م.

ويمكن تقرير الخلفية الجغرافية من تثنية 1 : 5. فقد قدم موسى الرسالة عندما كان بنو إسرائيل "في عبر الأردن... في أرض موآب" (أنظر 4 : 46).

ب. المشهد الدولي

بقيت منطقة سورية-كعنان الواسعة منطقة تبادل إطلاق نار أثناء الفترة الممتدة ما بين القرن السادس عشر إلى الثالث عشر قبل الميلاد. وقد تناهست ثلاث إمبراطوريات على السيطرة على هذه المنطقة: مصر وميتاني والإمبراطورية الحيثية. وكانت كلا المملكتين الميتانية والحيثية واقعيتين إلى الشمال من سورية، بينما كانت مصر واقعة إلى الجنوب. وكانت سورية-كعنان تحت تأثير المملكة الميتانية حتى حوالي منتصف القرن السادس عشر ق م. ومن تلك النقطة فصاعداً، وقعت الهيمنة المصرية على الرغم من أن الإمبراطوريتين بقيتا متنافستين حتى أوائل القرن الرابع عشر ق م. وانتقل الصراع إلى توتر بين مصر والحيثيين.

11 Merrill C. Tenney, ed. *The Zondervan Pictorial Encyclopedia of the Bible*, s. v. "Exodus, The," by K. A. Kitchen. 2 : 432

فإذا قبلنا عام 1406 ق م كتاريخ لكتابة سفر التثنية (وبداية الغزو)، فإن معنى هذا أن كلاً من كنعان وسورية في هذه الفترة كانتا تحت الهيمنة المصرية.

كل من الخروج وغزو كنعان قد حدثا خلال فترة فراعنة مصر من الأسرة الثامنة عشرة. ومع ذلك، فإن تحديد هوية الفراعنة لكل من هذه الأحداث يعتمد على التسلسل الزمني المصري الذي يختار المرء اتباعه (يناقش العلماء بين "التسلسل الزمني المنخفض" و"التسلسل الزمني العالي" لفراعنة الأسرة الثامنة عشرة). أما الفراعنة والتواريخ حسب التسلسل الزمني المنخفض فهي تقريباً كما يلي:

أحمس الأول	1549 - 1524 ق م.
أمنحتب الأول	1524 - 1503 ق م.
تحتمس الأول	1503 - 1493 ق م.
تحتمس الثاني	1493 - 1479 ق م.
تحتمس الثالث	1479 - 1424 ق م. (مع حكم مشترك مع حتشبسوت، 1479-1458)
أمنحتب الثاني	1424 - 1398 ق م. (بدأ الحكم المشترك مع تحتمس الثالث حوالي عام 1427)
تحتمس الرابع	1398 - 1388 ق م.
أمنحتب الثالث	1388 - 1351/50 ق م.

وباقتراض صحة هذه التواريخ، فإن "الملك الجديد الذي لم يعرف يوسف" (خروج 1: 8) سيكون أحمس الأول. وكان موسى (ولد 1526 ق م.) قد نشأ في بلاط أمنحتب الأول، وتحتمس الأول، وجزئياً في عهد تحتمس الثاني. وكان الأخير، تحتمس الثاني، هو الفرعون الذي هرب منه موسى عام 1486 قبل الميلاد. إذاً، كان فرعون الخروج (1446 ق م.) هو تحتمس الثالث، وكان فرعون وقت غزو كنعان (1406 ق م.) هو أمنحتب الثاني.

وكانت منطقة كنعان مقسمة إلى عدد من المدن - الولايات التي تدين بالولاء لمصر. وحكم كل واحدة منها ملك يتمتع بقدرة معينة من الحرية ما دام يدرك أنه مسؤول أمام السلطة المصرية:

لم يتدخل المصريون في البنية الداخلية للمدن - الممالك الكنعانية الأخرى ما دامت تقبل السلطة المصرية، وتدفع الجزية، وتؤمن الطرقات المارة عبر أراضيها، وتزود الجيش المصري بالمركبات والقوات المساعدة والطعام واللوازم الأخرى.¹²

تميز عهد تحتمس الثالث بعدد من الرحلات العسكرية باتجاه الشمال. وقد أدى ذلك إلى دخوله في صراع مع الإمبراطورية المينائية شمال سوريا، وكلاهما تنافسا على السيطرة على سوريا. تضمنت هذه الحملات انتقالات عبر المناطق الساحلية في فلسطين. ومع ذلك، قام أمنحتب الثاني، ابن تحتمس، بحملات عسكرية قليلة جداً، وشهد عهده وقف الأعمال العدائية بين مصر وميتاني. ومن المثير للاهتمام أن أمنحتب الثاني لم يكن الابن البكر لتحتمس الثالث. أمنحتب الثاني (ابن من ميريت حتشبسوت غير الملكية) كان له أخ أكبر اسمه أمنمحات الذي كان الابن البكر

¹² The MacMillan Bible Atlas, 34.

لتحتس الثالث من الملكة ساتيا . إلا أن الأمير أمنمحات مات قبل أن يصبح فرعوناً . ومن المحتمل جداً أن يكون الابن البكر لفرعون الذي مات في وقت الخروج (خروج 12:29-32) .

ولد أمنمحات الثاني ونشأ في ممفيس (بالقرب من القاهرة الحديثة) بدلاً من طيبة (الأقصر)، العاصمة التقليدية . وقد شارك في الحكم مع والده، تحتس الثالث، لمدة عامين وأربعة أشهر تقريباً . وهذا من شأنه أن يؤرخ انضمامه إلى حوالي عام 1427 قبل الميلاد . على الرغم من أنه قام في وقت مبكر من حكمه بحملتين شمالاً إلى كعان وسوريا ، إلا أن حملته الأخيرة حدثت في عامه التاسع ، والذي كان من الممكن أن يكون قبل دخول العبرانيين إلى كعان . بعد ذلك ، يبدو أنه عقد السلام (على الأقل بشكل غير رسمي) مع ميثاني ، وتحول تركيزه أكثر إلى الشؤون الداخلية

بعد حكم أمنمحات الثاني انتقلت السياسة الخارجية لمصر من العدوان العسكري إلى علاقات سلمية نسبياً مع بقية العالم المعروف.¹ لا يعرف سوى القليل عن ابن أمنمحات وخليفته ، تحتس الرابع . يسجل التاريخ أنه عزز أيضاً العلاقات السلمية مع ميثاني وتزوج من أميرة ميثانية لإبرام هذا التحالف الجديد . عند وفاته ، أصبح أمنمحات الثالث (المعروف أيضاً باسم أمنمحات الكبير) فرعون مصر . وتحت حكم أمنمحات الثالث (يشار إليه أحياناً باسم أمينوفيس الثالث) ارتخت قبضة مصر على ما يبدو عن المقاطعات الآسيوية ، إذ يوصف هذا الحكم " كحاكم أدى إهماله الكسول للمقاطعات الآسيوية إلى تمهيد الطريق لانحسار سيطرة مصر على سورية." ¹⁴ غير أن أحوال مصر نفسها كانت ممتازة:

جاء اعتلاء الملك نبيمر ، أمينوفيس الثالث ، في لحظة من تاريخ مصر ، كانت مصر فيها ، بفضل قرنين من الإنجازات التي لا مثيل لها تقريباً في الداخل والخارج ، في ذروة قوتها السياسية وازدهارها الاقتصادي وتطورها الحضاري .¹⁵

ومن ناحية بشرية ، كانت الدعوة إلى إسرائيل في تلبية إلى الهجوم على كعان وقتل كل السكان مغامرة محفوفة بالخطر . فقد كانت فلسطين تحت هيمنة مصر عندما كانت في أوج قوتها ومجدها . وقد يعود عدم قيام مصر بهجوم شامل مضاد إلى تطوير العلاقات السلمية مع ميثاني (وبالتالي الحد من مشاريع مصر شمالاً) واهتمامها الأول بالجبهة الداخلية .

بالإضافة إلى ذلك ، لا يوجد لدينا أي سجل لإجراءات انتقامية قام بها أخناتون الذي خلف أمنمحات الثالث . غير أن المكتشفات الأثرية كشفت لنا ما يعرف بـ " رسائل العمارة" ، وهي عدد من الألواح التي عُثِر عليها في مصر . وهي رسائل موجهة إلى الفرعونيين أمنمحات الثالث وأختاتون من ملوك سوريين - فلسطينيين يناشدون الفرعون العون في ما يتعلق بأحداث التمرد و الثورات في بلادهم . وتعرف هذه الفترة باسم "فترة العمارة" عندما أدى الضغط الحثي وثورة المدن الأمورية في الشمال إلى إضعاف نفوذ مصر بشكل حاسم . وقد تبع ذلك غزوات داخل أرض

¹³ Cambridge Ancient History, Vol. 2, part 1 (Cambridge Univ. press, 1973), 324

¹⁴ المرجع السابق ، 340 .

¹⁵ المرجع السابق ، 338 .

فلسطين من قبل عصابات شبه حربية معروفة باسم خايرو.¹⁶ والباحثون غير واثقين من صلة هذا الأمر الأخير بالعبرانيين المذكورين في الكتاب المقدس.

ج. في سهول مواب

لا يمثل سفر التثنية فترة تاريخية، وإنما مناسبة معينة خاطب فيها موسى أمة إسرائيل. وقد حدث قبل شهرين فقط من بدء الغزو (انظر يشوع 4 : 19). تاهت الأمة في البرية أربعين سنة، ومات جيل الخروج وانقرض. وخيم الآن جيل جديد في سهول مواب (تثنية 1 : 5) على الجانب الشرقي من نهر الأردن متأهين لدخول الأرض التي سبق أن أقسم الله أن يعطيها لإبراهيم و نسله، فهل سيكونون مستعدين لدخول الأرض بالإيمان والقضاء على السكان؟ وهل سيطيعون الرب حال دخولهم الأرض؟ إن سفر التثنية عظة تتناول هذه القضايا، لكنه أكثر من مجرد عظة، فهو أيضاً تجديد أمة إسرائيل للعهد مع ملكها، يهوه. والنبرة هنا مخلصية جداً؛ إنها توصل يتسم بالإلحاح من موسى الطاعن في السن للأمة لكي تكون ودية. هذا هو ثقّل قلبه الشديد، إذ هو على وشك الموت.

لن يسمح الله لموسى بالاستمرار مع الأمة بالرغم من توسله (تثنية 3 : 23 - 28) وقد أعطته سنوات قيادته الطويلة للأمة فرصاً كثيرة لملاحظة الشعب. وسفر التثنية هو ذروة فرصه وآخرها لحث الأمة على الولاء ليهوه: "أطيعوا فيبارككم الله!" دعا موسى الشعب إلى تجديد عهدهم (دستورهم) لأن فرصة امتلاك الأرض كانت مناسبة ذات أهمية كبيرة، أتاح خطاب موسى الفرصة لعدة أحداث هامة:¹⁷

(1) أعلن الشعب بشكل رسمي ولاءهم وذلك بالتأكيد على أن يهوه هو إلههم (26 : 16 - 17).

(2) قُدمت تعليمات من أجل التجديد التالي للعهد (الأصحاح 27).

(3) أعلنت بركات ولعنات للشعب (الأصحاح 28).

(4) عين يشوع خليفة لموسى.

(5) أعطيت تعليمات بوضع نص العهد في تابوت العهد (31 : 9، 26).

د. الاستعداد للحرب المقدسة

كانت مناسبة سفر التثنية هامة أيضاً كوقت للاستعداد، حيث كان في انتظارهم غزو عسكري، غير أن هذا الاستعداد كان أقرب إلى الطيعة الروحية منه إلى الطيعة التكنيكية. يقول كريجي:

لكنهم الآن، بعد أن عرفوا الطيعة الأخلاقية لإلههم، جددوا ولاءهم للعهد وله قبل دخولهم المعركة، إذ لم تكن حصيلة المعارك المستقبلية تعتمد على قدرتهم العسكرية، وإنما على قوة الله و تكريسهم القلبي الكامل له.¹⁸

¹⁶ المرجع السابق، 527.

¹⁷ Peter C. Craigie, *The Book of Deuteronomy*, The New International Commentary on Old Testament (Grand Rapids, MI: Wm. B. Eerdmans Pub. Co., 1976), 31-32.

¹⁸ المرجع السابق، 31.

كانت سياسة الحرب مزدوجة، إذ كان يجب القضاء على سكان الأرض، خاصة الكنعانيين (7 : 1 - 5، 20 : 16 فصاعداً)، بينما يجب اعتبار شعوب أخرى أعداء دائمين، كالعمونيين والموآبيين على سبيل المثال (23 : 3 - 6). وقد كان تعبير "الكنعانيين" يشير أحياناً إلى مجموعة معينة من الناس الساكنين في الأرض، ويضم أحياناً أخرى عدة مجموعات من السكان (أنظر 7 : 1 فصاعداً). غير أن الله شاء أن يكون هنالك تمييز كامل (انفصال) بين بني إسرائيل والكنعانيين (خروج 23 : 32، 33). وقد كان القضاء على الكنعانيين دينونة من الله عليهم (تكوين 15 : 16). ولم يكن هذا أمراً غير معقول على الإطلاق، عندما يضع المرء في اعتباره ثقافتهم. فقد كانوا يمارسون الرق والتمييز الطبقي، وعبدوا آلهة كثيرين وقداموا ذبائح لها، وأسسوا كهوتهم الخاص، وبنوا معابد لعبادتهم (مثلاً في نخيش وأريحا ومجدو وحضور)، وقداموا أبناءهم ذبائح لآلهتهم، وانغمسوا في طقوس شيطانية كثيرة (تثنية 8 : 9 - 11)، وأسسوا ديانة الخصب. وقد تضمنت الممارسة الأخيرة ممارسة البغاء في الهيكل الذي تضمن نساءً ورجالاً على حد سواء (انظر عاموس 2 : 7، هوشع 4 : 14).² فكان "التحريم" أو "القضاء الكامل" الذي دعا إليه يهوه معقولاً تماماً. وكانت لإسرائيل ديانة وإعلان معتمد على هذا العمل، وقد تضمن هذا القرار خير شعوب العالم (تكوين 12). ونجد مزيداً من الوصف للحرب في 20 : 1 - 20، 21 : 10 - 14، 23 : 10 - 14، 24 : 5، 25 : 17 - 19. وقد وضعت هذه المسؤولية على عاتق إسرائيل، وكانت جزءاً من الدعوة إلى الطاعة التي يعهد بها موسى إلى الأمة.

5. أطروحة السفر وغرضه

إن من شأن تحديد الوحدات الأساسية للفكر ضمن هذا السفر و"الآيات الرئيسية" (4 : 44، 12 : 1، 29 : 1) أن تساعد في تحديد أطروحة سفر التثنية والغرض منه. وإن من الواضح أن السفر متعلق بالشرعية، خاصة أنها تُشرح لهذا الجيل الجديد الذي يوشك على دخول الأرض الموعودة. "في عبر الأردن، في أرض موآب، ابتداءً موسى بشرح هذه الشرعية...". (1 : 5).

غير أن آيات أخرى من تلك التي تحاول شرح الشرعية كانت أكثر من مجرد توضيح للحقائق. ومن الواضح أن الشرعية كانت لدى إسرائيل من قبل، كما هو مذكور في خروج- لاويين. إذ كانت رسالة موسى في سهول موآب فرصة لكي يربط الجيل الحالي أنفسهم باتفاقية العهد مع يهوه. وهي اتفاقية عهد متميزة عن تلك التي تمت عند جبل سيناء (انظر 29 : 1، 10 - 13). وهكذا فإن البنود الحالية (12 : 1 - 26 : 19)، على الرغم من أن معظمها متضمن في العهد السابق، تقدم بوضوح للجيل الجديد، وهامم الآن يعطون فرصة لأن يكونوا شعب يهوه (29 : 13). لكن لا يجب التعامل مع هذه الفرصة باستخفاف. فمعنى أن يكونوا "شعبه" هو أن يتحملوا مسؤولية أن يكونوا نوراً للأمم... وسطاء بركة الله ومعرفه يهوه (تكوين 12، خروج 19). لكن هذا الدور الفريد هو امتياز، وهو لا يأتي إلا بمطالب محدودة. وهكذا يواجه الجيل الجديد بهذه المطالب وبأهمية الطاعة. يجعلهم موسى ينظرون عن كثب إلى التوقعات لكي يفهموا بوضوح ما الذي يتوقع منهم كشعب يهوه. ثم يطلب منهم أن يتخذوا قراراً إن كانوا مستعدين أن يأخذوا هذا الدور كشعب يهوه. يمكنهم أن يستجيبوا بشكل إيجابي بالدخول في هذا العهد

² Helmer Ringgren, *Religions of the Ancient Near East*, trans. John Sturdy (Philadelphia: Fortress Press, 1973), 167

مع يهوه (29 : 12) . يؤكد العهد على ضرورة اتخاذ إسرائيل هذا القرار ، وإذا اتخذوه ، فهذا يعني أنهم مستعدون لتحمل مسؤوليات قرارهم . إنهم يعرفون مطلب الطاعة ، ويعرفون أيضاً عواقب العصيان (اللعنات) . فالفكرة الأساسية من اتفاقية العهد هي المساءلة .

تجلب الدعوة إلى الدخول في العهد الانتباه إلى الفكرة الأساسية للسفر ، ألا وهي استجابة إسرائيل . فالله يسعى (من خلال وساطة موسى) إلى الحصول على استجابة من الأمة . وهي استجابة لا تنطبق على الجيل الحالي للأمة ، بل على الأجيال المستقبلية أيضاً (29 : 14 - 15) . يقدم سفر التثنية بشكل أساسي خياراً للأمة ، ونرى ذروة ذلك في (30 : 19 - 20) .

أشهد عليكم اليوم السماء والأرض . قد جعلت قدامك الحياة والموت ، البركة واللعنة ، فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك ، إذ تحب الرب أنك وتسمع لصوته . وتلتصق به ، لأنه هو حياتك والذي يطيل أيامك لكي تسكن على الأرض التي حلف الرب لأبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيهم إياها .

تلخص هذه الآيات رسالة السفر :

- يضع الله أمام الأمة خياراً
- يؤثر الخيار على الجيل الحالي وعلى الأجيال التالية أيضاً
- بركة الأمة هي الحصيلة المقصودة
- تعتمد البركة على طاعة يهوه من محبة قلبية
- يهدف الخيار إلى تحقيق العهد الإبراهيمي

فإذا أخذنا هذا بعين الاعتبار ، يمكن تلخيص أطروحة السفر وغرضه كما يلي :

الأطروحة: إن استجابة إسرائيل المطلوبة لمحبة يهوه وعهده معهم هي الطاعة القلبية له ولشريعته .

الغرض: أن تتمتع الأمة ببركة مستمرة في الأرض وأن يكونوا في الوقت نفسه عرضة للمساءلة عن عصيانهم .

هذه الأطروحة وهذا الغرض هاما للأسفار التالية في العهد القديم ، لأنهما يشرحان أساس تعامل الله مع الأمة . وعندما نرى إسرائيل تُؤدب ، فإننا نفهم أن هذا نابع من عامل المساءلة المشروح في سفر التثنية .

